مع غزّة

خالد اليملاحي
علّمنا الأدب الفلسطيني أنّ الكتابة قضية

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر في إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء. «كيف نكتب بعد كلّ الوحشية التي شهدناها؟»، يقول الكاتب والناقد المغربي

شيكاغو ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادة على غزّة؟

تشغلني مشاهد المذابح والمجازر والرعب والدمار التي تصلنا من غزّة وتُذكّرنا كلّ يوم بعجزنا الجماعي وفشلنا المدقع. يشغلني كون حرب الإبادة هاته اكتسبت طابعاً روتينياً عند البعض، كأنّها خبرٌ شبه عادي لم يعُد يُحرّك فيهم ساكناً. لقد كشفت الحرب على غزّة والصمت الرسمي الذي يواكبها، عن مجموعة من الإخفاقات على المستوى السياسي والتربوي والأخلاقي. كيف للعالم أن يتحدّث عن حقوق الإنسان بعد كلّ هذه الدماء والأشلاء؟ أين هي القيم الإنسانية أمام ما يشهده سكان غزّة من تهجير قسري وتجويع منهجي وعنف همجي لا نهاية له؟ كيف للمحفل الدولي أن يمضي في تطبيق ازدواجية المعايير دون أن يفقد ما تبقى من مصداقيته؟

■ كيف أثّر العدوان في حياتك اليومية والإبداعية؟

لقد أصبح من الصعب، بل أحياناً من المستحيل، أن يشتغل المرء أو أن يكتب نصّاً أو يقرأ كتاباً أو مقالة من دون التفكير في غزّة وأهلها. لقد صارت غزّة جزءاً لا يتجزّأ من حياتي اليومية. أتابع الأخبار من كثب، أرقب أصداء الحرب وأثر الحركات الطلّابية والشعبية المناهضة للعدوان في كلّ مكان، كما أواكب قدر المستطاع المبادرات الثقافية التي تهدف إلى تسليط مزيد من الضوء على الأصوات الفلسطينية، خاصّة في الأدب والشعر.

لقد شهدت الأشهر الماضية اهتماماً متزايداً بتاريخ فلسطين وثقافتها وإسهاماتها في الكتّاب والمفكّرين والشعراء الفلسطينيّين، على الصعيد الشخصي، حاولتُ أن أُسهم في هذه الحركية من خلال كتابة عددٍ من المقالات النقدية حول كتّاب وشعراء فلسطينيّين ترجمتُ أعمالهم مؤخّراً إلى اللغة الفرنسية أو الإنكليزية، وهذا من باب تقريب القارئ الغربي من الثقافة الفلسطينية وقضاياها. على سبيل المثال، أنا الآن بصدد تحضير مقال حول الترجمة الفرنسية لرواية «نجوم أريحا» للكاتبة الفلسطينية لينة بدر التي جرت إعادة نشرها مؤخّراً بباريس.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

لقد علّمنا الأدب الفلسطيني أنّ الكتابة قضية، وأنّ الإبداع نضال، يبدأ بتوثيق الأحداث التاريخية ومواجهة الأسئلة السياسية والاجتماعية، من خلال إعادة صياغتها في قالب أدبي، يجعل القارئ يلتمس ملامح الشخصية الفلسطينية وهواجس الفلسطينيّين على اختلاف أجيالهم ومساراتهم. إذا كانت فعالية الأعمال الإبداعية تُقاس من خلال أثرها في الضمير الفردي والجماعي، فإنّ الكتّاب الفلسطينيين كانوا ولا يزالون يقومون بدور طلائعي في تفكيك الصور النمطية، وتقريب القرّاء العرب والأجانب من نبض القلب الفلسطيني. ولعلنا اليوم أيضاً في أمسّ الحاجة إلى التعريف بأعمال ومساهمات الكتّاب العرب اليهود الذين دافعوا عن حقوق الشعب الفلسطيني وجسّدوا مكانة الثقافة اليهودية في المجتمعات العربية، ومنهم إدمون عمران المالح في المغرب.

ربّما يحتاج الأدباء إلى بعض الوقت لاستيعاب أبعاد الحرب على غزّة ومعالجاتها في إطار أدبي، فنحن اليوم أمام مأساة تاريخية جسيمة تجعلنا نُساءل إمكانياتنا اللغوية والإبداعية، وندرك محدودية تقنيات السرد والوصف والتحليل. كيف نكتب بعد كلّ أشكال العنف والوحشية التي شهدناها؟ هذا سؤال جوهري ينبغي التمعّن فيه.

■ لو قُيّض لك البدء، من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

أعتقد أنّ كلّ مجال له أهمّيته الخاصّة ودوره المنوط به. لقد اخترتُ منذ سنوات أن أشتغل في مجال الدراسات الأدبية إيماناً مني بضرورة الدفاع عن مكانة الأدب، وتسليط الضوء على أبعاده التاريخية والسياسية والاجتماعية، وإبراز منظومة القيم والأفكار التي يحملها في طياته. أحاول جاداً أن أوازن بين التدريس والبحث الجامعي والعمل النقدي والإبداع والترجمة، فكلّ هذه الأنشطة متكاملة إلى حدٍّ بعيد، والمثقّف مطالبٌ اليوم أكثر من أي وقتٍ مضى بتوسيع دائرة اهتماماته ومساهماته، والعمل على مخاطبة شرائح أكبر من المجتمع.

إنّ القضية الفلسطينية في حاجة ماسّة إلى مضاعفة الجهود للتعريف بأسسها وتاريخها وأدواتها الثقافية، خاصّة تجاه الأجيال العربية الصاعدة. يتعلّق الأمر هنا بمسألة تربوية قبل كلّ شيء، وكلّ إهمال أو إخفاق في هذا المجال سوف تكون له عواقب وخيمة، بما في ذلك على المستوى السياسي.

> الكتّاب الفلسطينيون كانوا ولا يزالون يقومون بدور طلائعي
>
> نحن أمام مأساة تجعلنا نُساءل إمكانياتنا اللغوية والإبداعية

خالد اليملاحي (العربي الجديد)

■ ما التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

لا يمكن للمرء أن ينتظر شيئاً آخر في الظرفية الراهنة سوى وقف حمّام الدم، ونهاية الحرب على غزّة، والشروع في إعادة البناء، وعودة اللاجئين إلى ديارهم، والمهجّرين إلى ذويهم، والأطفال إلى مدارسهم. ما من شكّ في أنّ جروح الحرب وآثارها العميقة لن تختفي بين عشية وضحاها، لكن الفلسطينيّين عوّدونا دوماً على تجاوز الآلام، والانتصار للأمل، والصمود حتى في أصعب الأوقات.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

نحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى إدوارد سعيد، وغسّان كنفاني، وجبرا إبراهيم جبرا، وفدوى طوقان، ومحمود درويش، وأقلام أخرى يفتقدها المشهد الثقافي الفلسطيني والعربي بشكل عام. ربما أختار أن ألتقي بغسان كنفاني وإن أجالسه، ولو لبضع دقائق، للحديث عن راهن الأدب ومستقبله، في ظلّ العدوان المستمرّ على الأرض الفلسطينية وشعبها.

كلّما فكّرتُ في غزّة وفلسطين، تبادرت إلى ذهني أعمال كنفاني وقدرته الفريدة على تطويق المأساة ومجابهة الأزمات، من خلال تحويلها إلى مواقف معبّرة وأسئلة عميقة تهزّ القارئ وتُجبره على التفكير في القضية الفلسطينية من زوايا متعدّدة ما زالت مطروحة إلى اليوم.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

أعتقد أنّ الإلهام الآن هو الإنصات إلى غزّة وأهلها. كلّ صورة، كلّ صرخة، كلّ كلمة تصلنا من غزّة هي بمثابة دعوة إلى مساءلة الذات والوقوف على دروس هذه المأساة. إنّ الناس في غزّة هم من يخاطبون العالم ويضعونه كلّ يوم أمام سؤال القيم الإنسانية والأخلاقية.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

يتبادر إلى ذهني بيت محمود درويش: «سقط القناع عن القناع»، ومقولة إدوارد سعيد: «إنّ اليأس أمام الوحشية والظلم استسلام، وهو في نظري أمر غير أخلاقي».

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان: ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي». ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

أنت يا دارين زهرة من زهرات غزّة الأبية. رأيتك تكتبين رسالة إلى أفراد عائلتك تحت التراب، وكأنّك تكتبينها إلى العالم بأسره. استوقفتني كلماتك: «هم بيسمعوا وعارفين شو بكتب إلهم». يا عزيزتي دارين، لقد وصلنا نحن أيضاً صدى كلماتك، وأغرقتنا حرقة دموعك. أقول لك: «استمرّي في الكتابة ولا تتخلّي عنها أبداً، فسنبذل قصار جهدنا ليقرأ العالم رسائلك ورسائل شعبك رغم الحصار والدمار». ولأطفال فلسطين أقول: «أنتم وجهُ فلسطين القادم المشرق، ومنكم نتعلّم ونستشعر نبض الأرض والقضية».

يوميات

خمس سنوات ونصف في إقليم فلاندرز
قشّ وصفيح

خمس سنوات ونصف رأيتُ خلالها كيف يموت اللاجئون في المخيّمات: كيف لا يحظون بحدّهم الأدنى من النعاس، بسبب كلّ ما يتعلّق بالمصير من هواجس

باسم النبريص

نعم: نجحت الرساميل، وفرضت هيمنتها على أربعة أركان الأرض. السبب، من باب الاجتهاد؟ ليس إلّا نتيجةً للعوز الفكري للسكّان، في المحلّ الأوّل، من بين أسباب أخرى. لقد لاحظتُ هذا العوز، فور أن جئتُ بلجيكا من إسبانيا: ثمّة فروقٌ هائلة بين شعبَي البلدَين. بلجيكا بلد رأسمالي متطوّر أشواطاً عن إسبانيا، ولهذا تحديداً، يشكو سكّانه من العوز الفكري في الدماغ، ومن الإفقار الممنهَج في المشاعر، من بين أشياء مختلفة وعديدة - أتكلّمُ هنا عن إقليم فلاندرز الثريّ، الذي أعيش في عاصمته.

أظنّ أنّ خمس سنوات ونصف من الإقامة بينهم تعطيني، على الأقل، حقّ هذا الانطباع.

بلدٌ يحكمه إلهُ السوق، ماذا تنتظر منه؟ بلدٌ تكثر المصحّاتُ النفسية، حتى في دساكره الصغيرة، وتبلغ ساعة الطبيب النفسي، سعراً باهظاً، تشكو منه حتى الطبقة المتوسّطة، ماذا تنتظر منه؟ الأطبّاء النفسيون المخوّلون بوصف الدواء، هُم أهمّ ما ينقص بلجيكا. هنالك معدّلات شديدا الندرة هنا هما: الألماس والبيسخاتر.

الغريب، وما غريبٌ إلّا شيطان الرأسمال، أنّ عدّة عبورات على كلّ من ألمانيا والنمسا وهولندا وفرنسا، وضعتني في نفس ذلك الانطباع. وضعتني حدّ الشعور بأنّ شرّ بلجيكا أهون من شرور هذه الدول، بسبب من انقسام شعبها إلى فرنسيّين وهولنديّين. في الدول الأربع أعلاه، رأيت إله المال «بلوتوس» نفسه، ولكن برفقة أورويل. على الأقلّ، أورويل أخفّ دماً في فلاندرز، ومهما فعل، لن يبلغ مستوى بابين الألماني والنمساوي والهولندي والفرنسي.

أمّا الأغرب من الغرابة ذاتها، أنّ كاتب هذه الأسطر جاء فلاندرز بعد ادعاءات من لاجئين سبقوه أنّها الأكرم والأرحم على العرب، في عموم القارّة. إنّها، بلسان المثقّفين، لا مؤاخذة يعني، شقيقتنا الكبرى: إيّاكا.

لم يصحّ هذا الزعم بالطبع، لا عند لاجئ مثقّف ولا عند لاجئ غلبان (إلى اليوم لا أعرف ما هو الفرق الحقيقي بين الاثنين).

وبما أنّ جوهر ذاك الزعم لا علاقة له بأيّ ظرف تاريخي، في أيّ بلد من بلدان العالم، فقد ذاب الثلج وبان المرج، دون مرور وقت طويل. وهذا جدّ مؤسف.

خمس سنوات ونصف، رأيتُ خلالها كيف يموت اللاجئون في المخيّمات: كيف لا يحظون بحدّهم الأدنى من النعاس، بسبب كلّ ما يتعلّق بالمصير من هواجس وهلاوس. تعاملتُ مع بشر بيض من بلاستك. رأيتُ غرباً أجوف من الداخل، لا يسكنه القشّ وإنما الخواء. فزمن القشّ (الذي يذكّرنا بسنابل الأرض الطيبة) كان فقط على أيام الشاعر الإنكليزي المؤمن.

رأيتُ كثرةً بيضاء من نساء ورجال وحتى فتيان وفتيات، تبحث عن أيّ يد لتتشبّث بها: عن أيّ كتاب تافه، أو وجبة جنس سريعة، ربما تتعلّم منهما ما تفتقر إليه بالحاح: السعادة وهداوة البال. لا سعادة ولا هداوة بال مع الرأسمال، يا خال. لقد كنّا نعرف هذه الحقيقة، تحت سقوف من الصفيح، منذ نصف قرن على الأرجح. واليوم نحن في قلبها لا على الهامش.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

طابور عند مبنى «الوكالة الفدرالية البلجيكية لاستقبال طالبي اللجوء» في بروكسل، كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

فعاليات

ألو، بيروت عنوان معرض جماعي يتواصل في «غاليري Chaos Arts» بالعاصمة اللبنانية حتى الرابع عشر من أيلول/ سبتمبر المقبل. يجمع المعرض أعمالاً تعكس تجارب **ستّة وعشرين فنّاناً لبنانياً واجنبياً في بيروت**، بهدف تكريم المدينة التي كانت مصدر الهام لكثير من الافراد المليء بالحروب، من خلال مجموعة متنوّعة من التعبيرات الفنّية في الرسم والنحت والتشكيل.

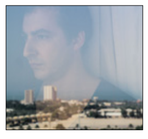

ابتداءً من الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر المقبل، تعرض منصّة افلامنا» فيلم **رسائل من الكويت** (2012) للمُخرج الفرنسي من اصول مصرية **كريم غوري**. يتناول الشريط الوثائقي (50 دقيقة) قصّة المُخرج الذي يسعى إلى بناء صلة مع والده المصري الذي لم يعرفه قطّ، بعد مرور اكثر من عقدين على وفاته، فينطلق من باريس الى مدينة الكويت متأمّلا في رسائل كتبها له.

عند الخامسة من مساء غدٍ السبت، تنظّم مؤسسة عبد الحميد شومان في فرعها بجبل عمّان حوارية مع الكاتبة سلمى اللحام وقراءة في قصّتها الموجّهة للاطفال **اين ساتخلّص منك يا حصينة** (2022). يستلهم النصّ، الفائز في الدورة 16 من «جائزة عبد الحميد شومان لادب الاطفال»، حكاية تراثية عن رجُل يدعى **الطنبوري** يمرّ بمواقف طريفة بينما يحاول التخلّص من جزمته القديمة.

عند الحادية عشرة من صباح يومَي الاحد والاثنين المقبلَين، ينظّم متحف الفن الإسلامي في الدوحة ورشة حول **تصميم السيراميك** موجّهة للاطفال بين 12 و14 سنة. تقدّم الورشة **هند الجابر**، وتهدف إلى تعليم المشاركين تقنيات فنّ الفسيفساء الإسلامي وطريقة استخدامه على السيراميك، وصناعة قطع فسيفسائية خاصّة بهم مستوحاة من مقتنيات المتحف.

متابعة

«مهرجان الأدباء الشبّان» في قليبية
مقاومة الاستعمار أم التطبيع معه؟

يحتفي المهرجان في دورته الجديدة بمقاومة الاستعمار، لكنّه يستضيف، في الوقت نفسه، عرضاً لعازف مطبّع سبق أن قدّم حفلاً في «إسرائيل»

تونس ـ **العربي الجديد**

بعد أن كانت مقرّرةً إقامتها نهاية تمّوز/ يوليو الماضي، تأجّلت فعاليات الدورة الثامنة والثلاثين من «المهرجان الوطني للأدباء الشبّان» في مدينة قليبية بولاية نابل (شمال شرقي تونس) إلى نهاية آب/ أغسطس الجاري؛ حيث أعلنت «جمعية منارة الأدب»، المُنظّمة للتظاهرة، في بيان لها، تأجيل الدورة لتُقام أيام 26 و27 و28 الجاري، بسبب «تأخّر الدعم المالي من قبل الهيئات المموّلة للمهرجان»، مع الاحتفاظ بعنوانها: «الأدب الشعبي ومقاومة الاستعمار».

في هذا السياق، قالت مديرة المهرجان سنية فرج الله، لوكالة الأنباء الرسمية في تونس، إنّ «جمعية منارة الأدب» لم تتلقّ سوى جزءٍ بسيط من ميزانية المهرجان المقدّرة بخمسة وعشرين ألف دينار تونسي (قرابة ثمانية آلاف دولار أميركي) من قبل «المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية» في نابل، والتي تكفّلت أيضاً بدعم عرض فنّي مبرمَج خلال المهرجان، مضيفةً أنّ الجمعية لا تزال تنتظر الدعم من بلدية قليبية ووزارة الثقافة لتغطية تكاليف الدورة، خصوصاً أنّ المهرجان الذي تأسّس في الثمانينيات «يُعوّل على دعم الدولة فقط، لأنّ المهرجانات الأدبية لا تحظى باهتمام المستثمرين، على عكس المهرجانات الفنّية». تأتي الدورة الجديدة في ظلّ حرب الإبادة الإسرائيلية المستمرّة على الشعب الفلسطيني منذ تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي، وهو ما دفع القائمين على المهرجان إلى تخصيص فعالياته للإضاءة على تفاعُلات الآداب والفنون مع المقاومة، في سياق «مواكبة المهرجان للأحداث الوطنية والدولية، ودعم القضية الفلسطينية»، وفق تعبير فرج الله. هكذا، تفتتح الدورة الثامنة والثلاثون بمعرض تشكيلي للفنّان التونسي مراد صمود عن القضية الفلسطينية وعرض موسيقي بعنوان «زُخرف»، بينما تُقام في اليوم الثاني نَدوةٌ فكرية تحت عنوان «الأدب الشعبي ومقاومة الاستعمار»، تتضمّن أربع مداخلات؛ هي: «النساء والمقاومة في الأدب الشعبي الفلسطيني» للباحثة هاجر منصوري، و«الإعصار الكولونيالي وجدار الشعر الشعبي» للشاعر الطيّب الحميدي، و«شعرنا الشعبي: صفحات من تاريخنا النضالي» للشاعر المختار المختاري، و«الشعر الشعبي ومقاومة الاستعمار في اليمن» للباحث اليمني مجيب الرحمن الصوابي. أمّا اليوم الثالث والأخير، فيُخصّص لإقامة عدد من الورشات، والإعلان عن الفائزين في مسابقة المهرجان، ليُختتم بعرض لـ«فرقة أناديكم» الفلسطينية.

إلى الآن، يبدو كلّ شيء في محلّه لولا وجود نقطةٍ سوداء في برنامج المهرجان، من شأنها، ليس فقط أن تُسيء إليه، بل أن تنسف محور دورته الجديدة من الأساس؛ ففي أحد الحسابات التي نشرت خبراً عن الدورة، يلفتنا تعليقٌ كتب صاحبُه، الذي يبدو أنّه ناشطٌ في مقاطعة الاحتلال الإسرائيلي: «والله شي يضحّك، مهرجان يحتفي بأدب المقاومة ويفتتح دورته بسهرة من تأثيث عازف عزف في إسرائيل مع محسن الشريف الذي هتف بحياة بيبي نتنياهو». وبالعودة إلى البرنامج، نجد أنّ الأمر يتعلّق بعرض «زُخرف» لعازف الكمان التونسي البشير السالمي الذي شارك، عام 2010، في حفل أقيم بمستعمرة إيلات الإسرائيلية، مع فنّانين تونسيّين آخرين: الملحّن عبد الوهاب الحنّاشي، والفنّان الشعبي نور الدين الكحلاوي، والمغنّي محسن الشريف الذي ظهر في فيديو وهو يهتف، خلال الحفل، بحياة الرئيس التونسي الراحل زين العابدين بن علي، قبل أن يُردّد أكثر من مرّة: «بحبا بي بي نتنياهو»! أثار الأمرُ، حينها، غضباً شعبياً واسعاً؛ حيث دعا كثيرون إلى مقاطعة هؤلاء الفنّانين ومنع استضافتهم في المهرجانات والحفلات والقنوات الإذاعية والتلفزيونية، بل وسحب الجنسية التونسية منهم، في حين ردّ محسن الشريف على الانتقادات بمنشور على حسابه في «فيسبوك» ادّعى فيه أنّه كان يجهل من يكون نتنياهو!

يُذكّر أنّ البشير السالمي قدّم، مطلع الشهر الجاري، حفلاً ضمن فعاليات الدورة الثامنة والخمسين من «مهرجان قرطاج الدولي»، وهو ما ندّدت به «الحملة التونسية لمقاطعة ومناهضة التطبيع مع الكيان الصهيوني»، التي نشرت بياناً بعنوان «نتيجةً لعدم تجريم التطبيع: تكريم المطبّع البشير السالمي باسم فلسطين»، استنكرت فيه مشاركة العازف التونسي في «دورة تدّعي إدارة المهرجان أنّها خاصّة بفلسطين». وذكّرت الحملة بأنّ السالمي شارك «بصفته عازفاً للكمان في العروض التطبيعية لمحسن الشريف في الأراضي المحتلّة. وقد دافع الأخير عن تطبيعه بكلّ وقاحة ولم يخجل من الاعتراف بأنّه مطبّع بكلّ وضوح، بل صرّح أنّ إسرائيل جنّة»، واحيا حفلاً غنّى فيه لمجرم الحرب نتنياهو»، وختمت بيانها بالقول: «نحمّل المسؤولية للدولة التونسية، وعلى رأسها قيس سعيّد الذي عطّل تمرير قانون تجريم التطبيع في لحظة تاريخية ملائمة بامتياز ليكتفي بالجعجعة اللغوية التي لا تُغيّر شيئاً من موازين القوى لصالح الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة».

ملصق المهرجان

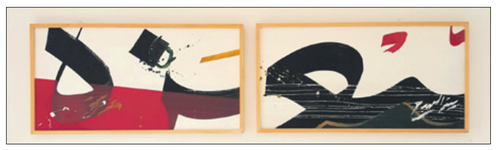
لوحتان من سلسلة «زيتون» للفنان التونسي اسامة الطرودي

إطلالة

أعذار القارئ

معدوح عزام

في رسالة بعث بها فريدريك إنغلز إلى مارغريت هاركنس، وهي روائية إنكليزية مغمورة، قال إنّ الروائي الفرنسي بلزاك سار في أدبه بعكس عواطفه الطبقية، فهو في العمق مناصرٌ ومؤيّد للملكية وللأرستقراطية الحاكمة، ولكنّه في الكتابة الروائية رأى حتمية نهاية هذه الطبقة، كما وجد أنّ ممثّليها لم يعودوا يستحقّون البقاء، في حين كان ممثّلو البرجوازية يتقدّمون للاستيلاء على مسار التاريخ. غالباً ما يُستخدم هذا الرأي الحصيف، في أغراض أُخرى، قد يكون من بينها البحث عن مسوّغات تُخفّف من أحكام القرّاء «القاسية» على بعض الكتّاب الذين يَظهر في حياتهم تناقضٌ خطير بين القول والفعل، بين الموقف السياسي والتعبير الأدبي.

في كلّ المرّات التي يعلن فيها القارئ موقفاً من آراء الكاتب السياسية التي تُناقض أدبه، يُقال له، أو لنا، إنّ علينا أن نفصل بين الأمرين، وإنّ للكاتب الحقّ بأن يُقرأ بحياد تام، وأن نبحث له على الدوام عن الأعذار الكافية التي تسمح له بالتملّص من الموقف، والنجاة من المسؤولية، عن مواقف سياسية تتّسم بالرعونة والجهل أو بالانحياز الأعمى لجهات معروفة بوحشيتها وعدائها للبشر، أو بممارساتها الاستعمارية، أو اليمينية، والأمثلة باتت اليوم لا تُعدّ ولا تُحصى.

حسناً، لم يكن في زمن بلزاك وسائل للتواصل الاجتماعي، لم يكن العالم قرية، بل كان عالماً شاسعاً واسعاً قد يصعب فيه على كاتب يعيش في فرنسا، أو إنكلترا، أن يعرف تفاصيل ما يجري من قبل سلطات بلاده التي تحتلّ بلداناً أُخرى من ممارسات وحشية. لقد رأى ما يحدث حوله، وقدّم له صورة روائية بارعة، لا مكان فيها للعاطفة، بل لحقيقة الحياة.

غير أنّ العالم المُعاصر لم يعد فيه متّسع لأيّ محاولة للهروب من المعرفة، والتوسّع في الاطلاع على الأخبار، وقراءة أو مشاهدة ما يحدث؛ فالصحف والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي كافّة «أضعفت قدرات الزمان والمكان التقليدية على تعزيز الجهل بما يحدث» وحوّلت العالم إلى قرية بالفعل.

كيف يُطلب، إذن، من القارئ أن يكون قادراً على الفصل بين موقف الكاتب السياسي - وفي هذه الحالة فإنّ الكاتب هنا يؤيّد «إسرائيل» ويدافع عنها (هيرتا مولر نموذجاً) - وبين أدبه الذي يُقدّم فيه نماذج روائية أو مسرحية تتّسم بالدفاع عن القيم الكبرى الإنسانية؟

مَن المُطالَب بالموقف الواضح الصريح هنا: الكاتب أم القارئ؟ فإذا تخلّى قارئ ما عن شاعر، أو روائي، يناصر الاستبداد مثلاً، والحصيلة من هذا النوع باتت متوفّرة بكثرة في عالمنا العربي، وفي العالم، أو كاتب يُعلن تأييده لـ«حقّ» القاتل في الدفاع عن النفس (وهو مبدأ سياسي أميركي مُعاصر مخترَع من أجل حماية جرائم «إسرائيل» وحدها) ويتغاضى عن حقوق الضحايا، ويغمض عينيه وقلبه ووجدانه وفكره عن الحقيقة، فهل يجب أن نلوم هذا القارئ؟ أم نلوم الكاتب؟

الأعذار غير موجودة، فكلّ كاتب في هذا العالم يعلم جيّداً ما الذي يجري في بنغلادش وميانمار وما كان يجري في تشيلي والأرجنتين، وهو يعلم أيضاً ماذا جرى في فلسطين، وما الذي يجري في غزّة بالأمس واليوم.

(روائي من سورية)